اقتباس: وصفي، أحمد. ف. إ. وحسين، سعدي. إ. (٢٠٢٥). المجتمعات المتعددة: دراسة في المفهوم والأنواع. مجلة دراسات إقليمية. (١٩). ٦٤. ٢٥١-٢٩٠.
https://doi.org/10.33899/regs.2025.133605.1085

المجتمعات المتعددة: دراسة في المفهوم والأنواع

أحمد فارس إبراهيم وصفي أ. م.د. سعدي إبراهيم حسين
كلية العلوم السياسية/ جامعة الموصل
mti.lec108.ahmed@ntu.edu.iq dr.saadialabrahem@uomosul.edu.iq

الاستلام: ٢٠٢٢/٤/١٨ القبول: ٢٠٢٢/٥/١٨ النشر: ٢٠٢٥/٤/١

مستخلص البحث

يعد (التعدد) مفهوما مركبا يعبر عن ظاهرة متعددة الأبعاد ويرتبط بالعديد من المفاهيم الأخرى مثل (العرقية والطائفية والدولة القومية والأمة والديمقراطية والمشاركة وغيرها). ويعرف البعض المجتمع التعددي على انه نقيض المجتمع الوطني المنصهر، فهو مجتمع تكوّن من عدة طوائف في إطار سياسي واحد. يهدف البحث إلى توفير أُسس نظرية لصنّاع القرار تساعدهم على اختيار الآليات المناسبة لإدارة تنوعها المجتمعي، بعد الإحاطة بالخصائص الفريدة لهذه للمجتمعات المتعددة. وتكمن أهمية البحث في أنه يمكن ان يسهم في توضيح ما ينطوي عليه مصطلح المجتمعات المتعددة من معانٍ لعلها تساعد في فهم المشاكل، إذ أن فهم المشكلة خطوة أولى باتجاه حلها. قسم هذا البحث الى محورين فضلا عن المقدمة والخاتمة، تناول المحور الاول المعاني والمفهوم الخاص بالمجتمعات المتعددة، فيما ركز الثاني على انواع تلك المجتمعات. وتوصل البحث الى ان مصطلح "المجتمعات المتعددة" يعبر عن المجتمعات التي تتعدد وتتنوع وتختلف وتكثر فيها التنوعات الثقافية او الاجتماعية او العرقية او الاثنية او الهوياتية على أساس الثقافة او الدين او المذهب او الطائفة او القومية او أي تمايز بين مكونات المجتمع الذي يضم في ثناياه مجاميع هويّاتية متمايزة عن بعضها البعض. ولكل منها خصوصية تميزها عن المجموعات الاجتماعية داخل مجتمع الدولة الواحدة على الصعيد المحلي وما بين الدول على المستوى العالمي.

الكلمات المفتاحية: التعددية؛ المجتمعات الهشة؛ الهوية الوطنية؛ الوحدة الوطنية.

© Authers, 2024, Regional Studies Center, University of Mosul. This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

Citation: Wasfi. A. F. I. & Husain. S. I. (2025). Pluralistic Societies: A Study of Concept and Types. ***Regional Studies Journal*****. (19). 64. 251-290. https://doi.org/10.33899/regs.2025.133605.1085**

Pluralistic Societies
A Study of Concept and Types

Ahmad F. Ibrahim Wasfi **Assist. Prof. Dr. Saady I. Husain**
College of Political Science/University of Mosul
mti.lec108.ahmed@ntu.edu.iq **dr.saadialabrahem@uomosul.edu.iq**

Received: 18/4/2022 **Accepted: 18/5/2022** **Published: 1/4/2025**

Abstract

Pluralism is a complex concept that represents a multi-dimensional phenomenon linked to various other concepts such as ethnicity, sectarianism, the nation-state, the nation, democracy, participation, and others. Some define a plural society as the opposite of a homogenous national society. It is a society formed of several sects within a single political framework. This research aims to provide theoretical foundations for decision-makers to help them choose appropriate mechanisms for managing societal diversity, after understanding the unique characteristics of plural societies. The importance of this research lies in its potential contribution to clarifying the meanings of the term 'plural societies,' which may help in understanding the related issues. Understanding the problem is the first step toward solving it. This study is divided into two main sections in addition to the introduction and conclusion: the first section discusses the meanings and the specific concept of plural societies, while the second focuses on the types of these societies. The research concludes that the term 'plural societies' refers to societies characterized by cultural, social, ethnic, or identity diversity based on culture, religion, sect, nationality, or any other distinction between the components of a society that encompasses distinct identity groups. Each group has unique characteristics that differentiate it from different social groups within the same nation-state locally and internationally.

Keywords: Pluralism; fragile societies; national identity; national unity.

© Authers, 2024, Regional Studies Center, University of Mosul. This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

مقدمة

تعد التعددية المجتمعية سمة شبه عامة تشترك بها اغلب الدول، الا ان مصطلح (المجتمعات المتعددة) قد تم تناوله في الادبيات والبحوث الاكاديمية بدلالات مختلفة، ولأهمية الموضوع الذي يعنى به هذا المصطلح صار من المهم الوقوف على أوجه معانيه بالضبط. على هذا الاساس تصبح عملية البحث في الدلالات المفاهيمية للمجتمعات المتعددة مسألة ضرورية جدا، وهو ما سنحاول البحث فيه فضلا عن بيان اهم الخصائص التي تتسم بها هذه المجتمعات.

إن اغلب البلدان اليوم تضم مجتمعات متباينة في معتقداتها الدينية أو في قومياتها ولغاتها وحتى في عاداتها وتقاليدها. الا ان الدول التي تنعت (بالمجتمعات المتعددة) هي تلك البلدان التي تتسم –فضلا عما– سبق بفقدان الاندماج المجتمعي فيها، وغياب الانصهار والتجانس مع وجود اتجاهات تعصبية صراعية بدلاً من الاتجاهات السلمية بسبب ظلم يقع على فئة او أكثر من تركيبتها الاجتماعية المتنوعة. وهذا راجع الى طريقة التعامل مع هذه التعدديات وإدارة التنوع فيها؛ فهناك من نجح في صهرها بالهوية الوطنية واضفى صفة التجانس والتعايش، بينما عجزت دول أخرى عن خلق مستلزمات العيش المشترك وبناء السلام، فانفرط عقدها الاجتماعي.

هذا المنطلق يجعل من مصطلح المجتمعات المتعددة ذات أهمية بالبيان والايضاح اذ ان الاختلاف الواضح في وضع معنى دقيق ومعبر يخلق اشكالية في فهمنا لهذه المجتمعات، وإذا لم نقف على معنى دقيق للمصطلح ومن ثم لخصائص تلك المجتمعات، سوف تصعب دراسة الحلول التي تحتاجها.

هدف البحث:

يسعى البحث لتوفير أُسس نظرية لصنّاع القرار تساعدهم على اختيار الآليات المناسبة لإدارة تنوعها المجتمعي، بعد الإحاطة بالخصاص الفريدة لهذه المجتمعات المتعددة.

أهمية البحث:

نظرا للمشاكل التي تنجم في بعض الدول غير المستقرة، والتي تؤدي الى احتراب داخلي واهتزاز في مجتمعاتها المتعددة، فأن هذا البحث يعد مهم للغاية كونه سيسهم في توضيح ما ينطوي عليه مصطلح المجتمعات المتعددة من معانٍ لعلها تساعد في فهم المشاكل وفهم المشكلة خطوة أولى باتجاه حلها.

إشكالية البحث:

تكمن الإشكالية في غموض أوجه معاني مصطلح المجتمعات المتعددة، وما هي أنواع التعددية؟ وماهي ابرز الخصائص التي تميز هذه المجتمعات (المجتمعات المتعددة)؟

الفرضية:

تنطلق الفرضية من فكرة مفادها ان مصطلح المجتمعات المتعددة له عدة دلالات، منها ما يعني تعدد ألوان النسيج الاجتماعي والسياسي والديني فيها مع غياب حالة الانسجام والوئام فيما بينها. او قد تعني مجتمعات تسمح بِ وتَتَبِّع آليات تعددية ديمقراطية في إدارة شؤونها بعد ان وعت تنوّع تركيبتها الاجتماعية المتعددة. كما تفترض هذه الدراسة ان الدول ذات المجتمعات المتعددة تمتلك خصائص فريدة تميزها عما سواها من الدول.

منهج البحث:

نظرا لطبيعة موضوع البحث فقد تم الاستعانة بالمنهج الوصفي.

هيكلية البحث:

قسم هذا البحث الى محورين فضلا عن المقدمة والخاتمة، تناول المحور الاول المعاني والمفهوم الخاص بالمجتمعات المتعددة، فيما ركز الثاني على انواع تلك المجتمعات.

المبحث الأول

مفهوم المجتمعات المتعددة

يحيط التركيب اللفظي للمجتمعات المتعددة الكثير من اللبس والغموض، وانه قد تم تناولها في الادبيات السياسية والاجتماعية بصور مختلفة واستخدمت للإشارة الى معاني متداخلة، لذا وجب في هذا المقام بيانها بتفصيل ادق، ولبلوغ مبتغانا هذا يجب تفكيك العبارة الى أجزاء يتم شرحها ثم إعادة تركيبها مرة أُخرى بالمعنى الملائم والمراد منه في هذا البحث، لذا سنبين أولا معنى المجتمعات وثانيا معنى المتعددة.

أولا: مفهوم المجتمعات:

١- مفهوم المجتمع لغةً:

المفرد: المجتمع، وهو اسم مفعول من اجتمعَ، في اللغة كل ما تَجَمَّعَ وانضمَّ بعضُه إلى بعض، واجْتَمَعَ ضِدُّ تَفَرَّقَ، ومن كلِّ شيءٍ مُجْتَمَعُ أَصْلِه، وجُمَّاعُ الناسِ أَخْلاطُهُم من قبائِلَ شَتَّى، والمجتمع جماعة من النَّاس تربطها روابط ومصالح مشتركة وعادات وتقاليد وقوانين واحدة (مُجْتَمَع المدينة: مُجْتَمَع اشتراكيّ- محافظ- عصريّ- بشريّ ... الخ)، وجوه المُجْتَمَع: سادته وأعيانه (ديكت).

والمُجْتَمَعُ كما جاء في المعجم الوسيط الجماعةُ من الناس (مجمع اللغة العربية)، واجتمع القومُ انضمَّ بعضُهم إلى بعض، وتعني اتّحدوا واتَّفقوا، وتجمّع أي تكتّل أو تآلف بين عدد من الأفراد نوع واحد يحيون معًا في مكان واحد كقولنا تجمّعات النحل والنمل وغيرهما أو قولنا ساد الخوف بين التجمعات العربيّة في أمريكا عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر (*معجم المعاني الجامع*، د.ت).

٢- مفهوم المجتمع اصطلاحا:

عرّف قاموس (الشامل) لمصطلحات العلوم الاجتماعية المجتمع بأنه "جماعة ذات ثقافة نُظِّمَت لإشباع الحاجات والمصالح البشرية" (الصالح، ١٩٩٩، ٥١٠)، وبالمعنى الانثروبولوجي تعرفه موسوعة (علم الانسان)، بأنه بناء او تنظيم اجتماعي وهو بصفة عامة يعني جماعة بشرية كبيرة العدد نسبيا ولدى افرادها القدرة على الاستمرار من الوجهة السكانية، كما يتسم بقدر من الاستقلالية في تنظيم العلاقات الاجتماعية، وهذه

الطبيعة النسبية هي التي تميّز كل مجتمع واستقلاله وقدرته على البقاء (ش. س. سميث، ٢٠٠٩، ٤٦٦).

والمجتمع هو تجمع للأفراد، يتميز بالمصلحة المشتركة وقد تكون له ثقافة ومؤسسات مميزة، وقد يشير المجتمع إلى مجموعة عرقية معينة، مثل النوير. وإلى دولة قومية، مثل سويسرا. أو إلى مجموعة ثقافية أوسع نطاقاً، مثل المجتمع الغربي. ويمكن أيضا اعتبار مجموعة منظمة من الناس مرتبطين معا لأغراض دينية أو خيرية أو ثقافية أو علمية أو سياسية أو وطنية أو غيرها من الأغراض، مجتمعاً. ومن الجوهري في معنى المجتمع أن يشترك أعضائه في بعض الاهتمامات أو المصالح المشتركة أو هدف مشترك أو خصائص مشتركة، وغالبًا ما تكون ثقافة مشتركة (New World Encyclopedia, n.d.).

فالمجتمع الثقافي يتكوّن من مجموعة عرقية معينة تضم جماعة من البشر، متعارفين فيما بينهم على أساس النسب المشترك او سلالة مفترضة، يشتركون عادة في الممارسات الثقافية او السلوكية او اللغوية او الدينية او جميع ما ذكر (أ. د. سميث، ٢٠٠٨، ٤٠).

والمجموعة العرقية هي مجموعة من الناس، داخل مجتمع أكبر، لديهم أصل مشترك حقيقي أو مفترض، وذكريات ماضوية أو تاريخية مشتركة، وتركيز ثقافي على عنصر واحد أو أكثر من العناصر الرمزية التي تم وصفها على أنها مثال لأفرادهم (Ratcliffe, 2014, 1). وما المجتمع الا تكوين من مجموعة او عدة مجموعات عرقية والتي تمثل مجموعة من الأشخاص يتماهى أعضاؤها مع بعضهم البعض من خلال عوامل مثل التراث المشترك، والثقافة، والأصل، واللغة، واللهجة، والتاريخ، والهوية، والأصل الجغرافي (International Labour Organization, 2014, 3).

يذكر عالم الاجتماع (ماكيفر McIver) ان التشابه بين افراد المجتمع مستشعر من قبل الجميع، لكن هذا لا يمنع وجود التنوّع والاختلاف ايضاً، ويعتمد المجتمع على

الاختلاف والتنوع كما يعتمد على التشابه، لان العلاقات تكون فيه مكملة لبعضها البعض، كما لاحظ ماكيفر، التشابه الأساسي والاختلاف الثانوي يخلقان أعظم المؤسسات الاجتماعية وكفاءة في تقسيم العمل (Doda, 2005, 151). وهذا يشابه ما ذهب اليه المفكر (كيلان) الذي اعطى في مقال له بعنوان التعددية الثقافية تفسيرا عن التجانس الذي يجمع الاثنية الواحدة في كونها جماعة من الناس تتشارك نفس الصفات الوراثية والبيولوجية، فضلا عن التوارث الثقافي عبر الاجيال (مربعي، ٢٠١٥، ٥٥)، وأن العلاقات بين المجموعات الإثنية المتعددة تحتل فيها الهوية والعلاقات الثقافية مكان الصدارة (سالك، ٢٠١٦، ٢٠).

مما سبق يتبيّن ان المجتمع يتكوّن من مجاميع بشرية تجمعهم مشتركات معينة، وان تعدد هذه المجاميع المستقلة ينتج مجتمعات صغيرة نسبياً داخل مجتمع أكبر يسمى الدولة (Dean, 2010, 679)، وكلما ضمت هذه الأخيرة داخل حدودها مجتمعات بالوصف السابق الذكر كلما انطبق عليها وصف المجتمعات المتعددة.

ثانيا– مفهوم المتعددة:

١– لغة: في اللغة فأن كلمة (متعدد) اسم فاعل مِنْ تَعَدَّدَ، جاءت من المصدر (عَدَّد)، وكما جاء في قاموس المعاني الجامع فأن مُتَعَدِّد، كمُتَعَدِّد الأَشْكَالِ أي مُتَنَوِّعُهَا، ورَسْمٌ مُتَعَدِّدُ الأَلْوَانِ أي مُخْتَلِفُ الأَلْوَانِ، وكَلِمَةٌ مُتَعَدِّدَةُ الْمَعَانِي أي لَهَا مَعَانٍ مُخْتَلِفَةٌ، ومُتَعَدِّدُ الاخْتِصَاصِ أي مُتَنَوِّعُ الاخْتِصَاصِ، وتَعَدَّدَتِ الآرَاءُ حَوْلَ الْمَوْضُوعِ بمعنى كَثُرَتْ وتَنَوَّعَتْ وتَعَدَّدَتِ، مثلُ تَعَدَّدَتِ الأَسْبابُ والْمَوْتُ واحِدٌ (*معجم المعاني الجامع*، د.ت).

والمفعول مُعدَّد، وأن الفعل (عدّد) يعني احصى، عدّد نقوده أحصاها وحَسَبها، وقيل يَتَعَدَّدُونَ عليه يَزيدون عليه في العدد (مجمع اللغة العربية). وعَدَّه أَي صار معدوداً، عدَّدَ يَتَعدَّد، تعدُّدًا، فهو مُتعدِّد، تعدَّدَتِ المشكلاتُ زادت، كَثُرت، وصارت أكثر من واحدة، تعدُّدُ الألوان، وتعدَّدت وسائلُ النَّقل في عصرنا، ومتعدِّد الأغراض أي يُستفاد منه في عدّة أشياء، تعدَّدتِ العناصرُ صارت ذات عددٍ بعد أن كانت واحدً،

وتعدُّد الوظائف إشغال شخص واحد لعدَّة وظائف خاصّة، ومتعدِّد المُرَكّبات أو الأعراق أو المقاطع أو النواحي أو الخلايا... الى اخره (معجم *المعاني الجامع*، د.ت).

يتضح مما سبق ان كلمة (متعددة) لها دلالات تترادف والمراد الدلالي لعدة كلمات مثل (متنوّعة)، (مختلفة)، (الإحصاء والكثرة والتزايد).

وفي اللغة الإنكليزية لا يبتعد المعنى عما سبق، فقد جاء في معجم العلوم الاجتماعية ان كلمة (التعدد) تعني حالة الكثرة وزيادة العدد، و (pluralism) او التعددية، تعني مذهب الكثرة الذي يرد الكون الى ماهيات متعددة لا ترجع الى مبدأ واحد، ويدع مستقبل العالم يحمل إمكانات عدة يتوقف تحقيقها على فعل الكائنات التي تقرر مصيره، ويقابله مذهب الواحدية (monism) الذي يرد الكون كله الى مبدأ واحد او الطبيعة الواحدة. والـ (sociological pluralism) للدلالة على تعدد اشكال الروح الاجتماعية في نطاق كل جماعة، وتعدد الجماعات داخل المجتمع وتعدد الجماعات نفسها. وهي بهذا المعنى ترادف كلمة (diversity) التي تعني التنوّع. اما (plural society) يقصد به المجتمع متعدد العناصر الذي يتكون من عدة جماعات متميزة عن بعضها البعض من الناحية الثقافية، وأهم ما يواجه هذه الجماعات هو العمل على توحيد الاتجاهات والتكيف المشترك للجماعات المختلفة (بدوي، ١٩٨٢، ٣١٧).

٢- اصطلاحا:

يعد (التعدد) مفهوما مطاطا يعبر عن ظاهرة عامة، تتباين تطبيقاته واستخدامه في كثير من الأحيان للإشارة الى حالات وأوضاع متناقضة، كما يعد مفهوم مركب يعبر عن ظاهرة متعددة الأبعاد. وأن عملية التركيب في الظاهرة التعددية جعلت من المفهوم المعبر عنها مفهوماً معقّدا. وذلك لارتباطه من ناحية بالعديد من المفاهيم الأخرى مثل العرقية والطائفية والدولة القومية والأمة والديمقراطية والمشاركة...الخ. ولكون الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية التي يقوم عليها من ناحية أخرى تتضمن عناصر متشابكة ومتداخلة تتوقف بدورها على مجموعة كبيرة من العوامل والمتغيرات المتفاعلة سواء في ذلك الداخلية منها أو الخارجية (عوض، ١٩٩٣، ٤).

وعدّ البعض التعددية اذا كانت ثقافية أو اجتماعية مفهوما شديد العمومية، ولما يعنيه من وجود أنساق أو أنساق فرعية متعددة داخل وحدة اقتصادية أو سياسية او اجتماعية. فيمكن القول إن هناك (تعددية لغوية وتعددية سلالية وتعددية ثقافية)، وهكذا (مطلق، ٢٠١٤، ٤٥٩). ومن خلال متابعة الأدبيات المعاصرة التي تناولت مفهوم التعدد تكشف عن تباين واضح في الاتجاهات النظرية للمفهوم، ومن ثم تعّدد في التعريفات (عياش، ٢٠١٨، ٣)، لذا سنحاول بيان المعاني الدلالية التي يمكن ان يشر اليها مصطلح التعدد كما يأتي:

١- التعددية بمعنى التنوع والاختلاف:

يمكن تعريف التنوع او التعدد بطرق مختلفة تغطي مجموعة من الفوارق المرتبطة بالعرق والجنس والهوية الجنسية والأثنية والعمر والدين وأسلوب المعرفة ومستوى التعليم والوضع الاقتصادي والاجتماعي والطبقة والقدرة الجسدية والأصول الوظيفية وغيرها الكثير (مركز جون دي جيرثارت، ٢٠١٠، ٣). كما يستعمل المصطلح أحيانا لوصف مجتمع مكون من مجموعات مختلفة (عرقية أو دينية أو اثنية... الخ) واكتسب المصطلح معاني في علم السياسة. ويستعمل هذا المصطلح غالبا في نمط معياري أو مقرر (جاد الرب، ٢٠١٠، ٢١٠). والتعددية عند الدكتور (طه بدوي) تعني المجتمع الذي يتكون من جماعات عدة مميزة عن بعضها البعض من الناحية الثقافية كما يعني عنده حالة الكثرة وزيادة العدد (مطلق، ٢٠١٤، ٤٦٠). والتعددية العرقية مدلولا مرادفا للتنوع الثقافي أحيانا، لاسيما في علم الاجتماع والفلسفة والسياسة والتعليم والحياة اليومية كنظرية وسياسة ومناهج (الريحان).

٢- التعددية أداة من أدوات الديمقراطية:

التعددية السياسية مصطلح حديث الظهور والاستخدام وهي بصفة عامة وثيقة الصلة بمصطلح الديمقراطية على النهج الغربي، وان كان الإطار المفاهيمي للتعددية أكثر اتساعا وشمولا.

بدأت نظرية التعددية السياسية في شكلها الراهن مع كتابات (بنتلي) والتي تنظر الى المجتمع على انه يتكون من جماعات، وتطورت في اعقاب الحرب العالمية الثانية مع ظهور وتنامي المدرسة السلوكية لا سيما على يد (روبرت دال Robert Dahl) (عوض، ١٩٩٣، ١٥).

بهذا السياق تعد التعددية كأحد شروط الممارسة الديمقراطية كونها تفترض الاعتراف بحقوق الإنسان في المجتمع وبكرامته وبرسالته مثلما تفترض الإقرار بواجباته ومسئولياته. وبالتالي فهي تتعارض تعارضاً تاما مع وجود الدولة الشمولية. بل وتفترض قدراً من الحياد من قبل السلطة العليا أي الدولة التي ينبغي أن تحترم القوى والمؤسسات التي تعمل في إطارها على تعميق الخير العام للبلاد (عوض، ١٩٩٣، ٩).

كما يستخدم الاصطلاح للتعبير عن شكل من اشكال الحكومات التي يطلق عليها الليبرالية او الديمقراطية التمثيلية، وعليه فان النظام السياسي التعددي هو نظام تتعدد فيه مراكز اتخاذ القرار (عوض، ١٩٩٣، ١٦)، وعرّفت موسوعة السياسة (التعددية) بشكل مقارب، فقد عدته مفهوم ليبرالي ينظر الى المجتمع على انه متكون من روابط سياسية وغير سياسية متعددة، ذات مصالح مشروعة متفرّقة...، وان التعدد والاختلاف يحول دون تمركز الحكم ويساعد على تحقيق المشاركة وتوزيع المنافع، ويعتبر الليبراليون الولايات المتحدة كمثال للتعددية (الكيالي، ١٩٩١، ٧٦٨).

والتعددي Pluralist شخص يؤمن بأنه ينبغي مشاطرة السلطة بين المجموعات والمصالح المختلفة في المجتمع وان القرارات السياسية ينبغي أن تمثل المساواة والتوفيقات بين مثل هذه المجموعات. لذا ينبغي أن تكون الدولة نفسها وكيلا عن هذه العملية وان تعمل بوصفها حكما أو فيصلا محايدا وليس متنافسا له مصالحه المعينة الخاصة به (الربيعي وكوثراني، ٢٠١١، ٢٩٤).

وقد يختلف التعدد فيما لو كان مفهوما عنه لو كان مصطلحا، ويرى البعض في التعدد كمفهوم أنه يرادف التنوع والاختلاف، أما كمصطلح فيعتقد بعض آخر بأنها تمثل النظام السياسي الذي له خلفية فلسفية ترتبط بإدراك دور الدولة وطبيعة المواطنة بل وطبيعة الإنسان، وله ملامح مؤسسية ثابتة مستقر عليها، ويقترن بتطور اقتصادي

واجتماعي محدد ومناخ ثقافي يقوم على الفصل بين الدين والدولة، ويهدف إلى إدارة الصراع الاجتماعي، بمعنى أن التعدد كمصطلح يعبر عن أحد أشكال الممارسة الديموقراطية، وهذا التمييز بين المفهوم وبين المصطلح تمييز من شأنه أن يعطي ديناميكية للحياة العامة بحيث يفصل ما بين التنوع كأصل طبيعي وفطري في الحياة لابد منه، وبين النظام أو الآلية التي يجب أن تدير هذا التنوع (عياش، ٢٠١٨، ٣).

فالتنوع وليد الواقع والحياة، أما التعددية فهي الفكرة المقترحة من أجل عقلنته وترشيده. وإذا كان التنوع مصاحبًا للتاريخ البشري، فإن التعددية هي فكرة حديثة لم تظهر إلى الوجود إلا في منتصف القرن العشرين. فقد كان الظهور الأول لفكرة التعددية في الخطابات العامة في أواخر الستينات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين. وكانت التعددية لا تعني بالضرورة المعنى الثقافي بقدر ما تعني تعدد القوى الفاعلة سياسيًا. وإذا كانت التعددية الثقافية أو اللغوية أو العرقية هي انعكاس لواقع التنوع الموجود بالفعل في المجتمعات إلا أن التعددية في النظرية السياسية لها معنى مختلف عن هذا. إذ تعني توزيع القوة السياسية أو توزيع صلاحيات اتخاذ القرار بين جماعات أو مؤسسات متنوعة (ش. س. سميث، ٢٠٠٩، ٢١٧).

ثالثا: اصطلاح المجتمعات المتعددة:

نتيجة لعوامل عدة مثل الهجرات والغزوات والتقسيم الاستعماري والعولمة وغيرها اختلطت الجماعات الاثنية مع بعضها وتقاطعت ثقافاتها ومصالحها مع بعضها البعض ونشط الوعي في كل جماعة بخصوصيتها وتميزها عن غيرها من الجماعات البشرية من حولها، شكلت هذه المجتمعات ظاهرة بحاجة الى التمييز والتوصيف لتساعد المختصين والباحثين على الوقوف الدقيق والتشخيص الصحيح لتحديد ماهيتها ومعالجة أوضاعها.

كانت البدايات لتشكّل مفهوم (المجتمع التعددي) مع عالم الاقتصاد (فيرنيفال Furnivall) في دراسته عن آثار الحكم الاستعماري في بورما وأندونيسيا ١٩٦٧ ثم تبنى (سميث Smith) بعد ذلك هذا المصطلح في دراسته لجزر البحر الكاريبي إذ وجد هناك أن الجماعات السلالية تختلط ولكنها لا تتوحد. كما لاحظ أن السيطرة

السياسية لجماعة سلالية واحدة، وتمفصل الجماعات السلالية الأخرى المشاركة في ذلك النظام الاقتصادي، تشغل كل جماعة منها موضعاً معيناً في عملية تقسيم العمل، ووجد أن تلك هي العوامل التي تحافظ على التوازن في المجتمع التعددي. وقد طبق (فان دين برج) مفهوم المجتمع التعددي على المجتمع الأمريكي، وذهب إلى أن الجماعات الإثنية لها مؤسسات وأنساق قيمية متميزة خاصة بكل منها ومتعددة بتعدد تلك الجماعات. فيما عدا ميدان السياسة والاقتصاد. حيث يسود نسق مشترك ولحد.

أن مصطلح المجتمعات متعددة العرقيات يستخدم استخداماً وصفياً أيضا، للإشارة إلى التعددية الثقافية (راتانسي، ٢٠١٣، ٢١)، ويعتقد (فيرنيفال Furnivall) أن المجتمع التعددي يظهر عندما تكون القوى الاقتصادية مستثناة من سيطرة الإرادات الاجتماعية. وهو وضع لم تعرفه المجتمعات التقليدية من قبل لأنه فقط في العصور الحديثة أضحت القوى الاقتصادية أكثر استقلالية عن النظام الاجتماعي. فالقوى الاقتصادية هنا هي التي تخلق المجتمع التعددي وتبقى عليه في ظل ظروف التنوع الثقافي والاجتماعي من جانب والسيطرة الاستعمارية من جانب آخر. ومن ثم فإنها تجد أوضح تعبير لها في البلدان حديثة العهد بالاستقلال والتي كانت خاضعة للسيطرة الاستعمارية، إذ تتسم المجتمعات في هذه البلدان بالتنوع الثقافي والانقسام والتشرذم الاجتماعي (عوض، ١٩٩٣، ٧).

ويعرف البعض المجتمع التعددي على انه نقيض المجتمع الوطني المنصهر، فهو مجتمع تكون من عدة طوائف في إطار سياسي واحد (عياش، ٢٠١٨، ٦). وأن الظلم الذي تتعرض له فئة كفيل بإنشاء اتجاهات تعصبية بدلاً من الاتجاهات السلمية، والتعايش السلمي ضرورة حياتية للتقارب في المجتمع المتعدد وضرورة حضارية للتواصل والتفاهم بين افراده (صابر ومحمد، ٢٠٢٠، ٢٨٧–٣٠٠).

وبهذا نخلُص الى ان مصطلح المجتمعات المتعددة يعبر عن المجتمعات التي تتعدد وتتنوع وتختلف وتكثر فيها التنوعات الثقافية او الاجتماعية او العرقية او الاثنية او الهوياتية على أساس الثقافة او الدين او المذهب او الطائفة او القومية او أي تمايز

بين مكونات المجتمع الذي يضم مجاميع هويّاتية متمايزة عن بعضها البعض. ولكل منها خصوصيات تميزها عن غيرها من المجموعات الاجتماعية.

رابعا: سمات المجتمعات المتعددة:

هناك جملة من السمات التي تتصف بها المجتمعات المتعددة اهمها ما يأتي (صابر ومحمد، ٢٠٢٠، ٢٨٧-٣٠٠):

١- انها تتمتع بتباينات ثابتة نسبياً أي لا تتبدل كما قد يتبدل الرأي العام.

٢- يتم إطلاق التصنيف الاجتماعي لبعض المجموعات بسبب الاختلاف الديني أو اللغوي أو العرقي، وتعد الصور النمطية أحد الظواهر الثقافية والاجتماعية الشائعة إذ يتم تصنيف الأشخاص والجماعات لتمييزهم عن الآخرين. ولذا فإن التعبير الأمثل عن التنميط أو هو وصفها بالقوالب الثقافية الجاهزة والتي يتم وضع الأشخاص والجماعات فيها وعزلهم ثقافيًا واجتماعيا من خلال أحكام غالبًا ما تكون سلبية ولكنها أيضًا يمكن أن تكون إيجابية (مصطفى، ٢٠١٩، ١٣).

٣- في المجتمع المتنوع يعيش الفرد ويصلي ويدرس ويعاشر ويعمل ويلهو ويشيخ ويدفن في بيئته دون غيرها، وتنتظم هذه المجموعات ضمن مؤسسات تحتية تربوية واجتماعية واعلامية ودينية وغيرها.

٤- اختلاف المصالح او تعارضها، والاختلاف على الأولويات (مصطفى، ٢٠١٩، ١٤). وفقدان التجانس الداخلي بين مكونات المجتمعات المتعددة، انطلاقا من فرضية وجود أقليات أو إثنيات مختلفة تعتقد بوجود جار داخلي عدواني، ما يجعلها تعيش منغلقة على نفسها في نفس المجال الجغرافي، ويخلق فجوة تعمل على تقسيم الجماعات المختلفة الهوية إلى (نحن وهم)، كما تنقسم إلى أهل البلد والغرباء، ومن هم داخل الجماعة ومن هم خارجها.

٥- تواجه المجتمعات المتعددة تحدي خلق هوية مشتركة يشعر الجميع تحت ضلها بالانتماء لها (عياش، ٢٠١٨، ١). وأحيانا يعمل النظام السياسي على خدمة أقليات أو جماعات معينة تحتكر السلطة والثروة (شخصنة الدولة)، هذا ما سيخلق دولة

ضعيفة وهشة يسيطر عليها العامل الإثني. وهذا التمييز غالبا ما يخلق نزاع الهوية بين الجماعات الأثنية المتعددة المكونة للمجتمع (مربعي، ٢٠١٥، ٦٤).

٦- كلما زادت الفوارق بين الجماعات الإثنية، كلما اتسعت هوة عدم التفاهم وانعدام التجانس الداخلي ونمت الأحقاد التي تؤدي إلى العنف (مربعي، ٢٠١٥، ٦٥)، لذا تزداد احتمالية تعرّض الامن المجتمعي للتهديد عند محاولة جماعة إثنية معينة زيادة أمنها المجتمعي على حساب الجماعات الأخرى، وهذا ما قد يتسبب في رد فعل الجماعة الثانية التي تسعى كذلك إلى زيادة أمنها للمحافظة على التوازن مع الجماعة الأولى، وهذا ما يتسبب في حدوث المعضلة الأمنية والتي يسميها (باري بوزان Barry Buzan) بالمأزق الأمني الناتج من إحساس مجموعة إثنية ما بعدم الأمــن من السلطة والمجموعات التي تشاركها في الإقليم الجغرافي (مربعي، ٢٠١٥، ٦٨).

٧ - وتتسم العلاقات بين المجموعات الإثنية داخل المجتمع والدولة على السواء، بنوعين من العلاقات، علاقات متناغمة ومنسجمة تساعد في تقييد احتكار السلطة من طرف مجموعة عرقية معينة، إلى جانب أنها تعطي الفرصة لممارسة الحقوق الفردية والالتزام بالقيم والعناصر المشتركة، وتساعد في استقرار الدولة وبنائها وفق أسس متينة، أو تتسم بعلاقات تنافسية قد تجر إلى الصراع العنيف الذي يؤدي إلى تفكك الدولة وزوالها، إذا لم تُفعّل الآليات المناسبة لإدارتها (مربعي، ٢٠١٥، ٧٠).

٨- تتسم المجتمعات المتعددة في الغالب بكونها شديدة الانقسام نتيجة وجود جماعات اثنية او دينية مختلفة داخل حدود دولة غير متجانسة ثقافيا، ووجود عوامل أخرى منتجة للصراع مثل التدخل الخارجي، الاقتصاد السياسي، الوضع الاجتماعي، مــستوى العنف السائــد. وتــتسم بــأن الــولاء للجماعــة الفــرعيــة أكــبر من الولاء للأمة (موسى، ٢٠١٥، ٥٢).

من السمات السابقة يتضح ان للمجتمعات المتعددة سلبيات معينة دون انتفاء لإيجابياتها، فيكون التنوع الاثني فيها سلبيا عندما يُنظر للظاهرة الاثنية والتعدد على انها مشكلة في حد ذاتها او انها مشكلة سياسية تهدد الوحدة الوطنية. وفي سياق

تصعيد الجماعات المختلفة لمطالبها قد تتسبب الاقليات في اشكال من العنف السياسي وتهدد الوحدة الوطنية واستقرار الاوضاع الداخلية.

وهناك من يعد الاثنية ليست مشكلة بذاتها، الا ان المشكلة تبرز الى السطح حيث يساء استخدام المشاعر الاثنية وحينها تتحول الى سلاح مدمر وخطير يهدد الاستقرار السياسي وربما يعصف بمؤسسة الدولة نفسها، وقد يستخدم البعد الاثني كوسيلة للضغط الخارجي على الدولة التي يَعرف مجتمعها تنوعا اثنيا من خلال المطالبة بتحسين ظروف الاثنيات وتحقيق العدالة والمساواة بين كافة مكونات المجتمع وكذلك يمكن ان تمثل الاثنيات مشكلة سياسية في حالة ما إذا كان هناك غياب في النصوص القانونية الدستورية القادرة على حماية حقوقهم الثقافية. وقد يسبب التنوع الاثني السلبي العديد من الصراعات والنزاعات الاثنية الداخلية بسبب السياسات التمييزية التي تلجأ اليها بعض الحكومات والتفرقة بينهم على اساس الدين او اللغة او العرق وتصنيفهم في سوق العمل والوظائف (لبادي، ٢٠١٦، ٦٧).

والتنـوع الإثنـي فيها يكـون إيجابيا عندما تعـيش فـي ظلـه المجتمعات وتتعايش في إطار التعدد والتنوع، وتدير هذا التنوع في إطار المواطنة والمساواة وبهذا تكون هذه المجتمعات الأكثر حيوية وانتاجا وتطورا بعكس المجتمعات المغلقة التي لا تسمح بالتنوع والتعدد بأن يأخذ حقه في تحريك مسارات الحياة ودفعهـا في اتـجاه التطـور والـرقـي، فعندمـا يتاح لـهـا المـجال من الممكن ان تكـون قوة انسانيـة محررة وخلاقة (لبادي، ٢٠١٦، ٦٠). وبذلك ننتهي الى ان المجتمعات المتعددة لها سمات معينة تتطلب إدارة سياسية رشيدة للاستفادة من ايجابياتها، ودرء خطر سلبياتها الكارثية على وحدة الدولة والسلم في المجتمع.

المبحث الثاني

أنواع التعددية المجتمعية

مع ظهور التعددية ظهرت اطروحة (البلورالية)، التي تعني الاعتراف برسمية التعدد والتنوع في الثقافات والأديان واللغات والتجارب البشرية والبلورالية أو التعددية

بالشكل الموجود حاليا تعد من نتاجات الحضارة الجديدة وتبحث في مجالين مهمين: أحدهما في مجال الأديان والثقافات والأخر في المجال الاجتماعي. فهناك بلورالية في المعرفة الدينية وبلورالية في المجتمع، أي الدين البلورالي والمجتمع البلورالي كما أنه يوجد هناك ارتباط وثيق بينهما بالمعنى. وان الأشخاص الذين يذهبون إلى القول بالتعددية على المستوى الثقافي الديني لا يمكنهم التنكر لأطروحة التعددية الاجتماعية. وتؤكد البلورالية أن التعددية فكرة تنبذ التعصب. وهي فكر وموقف يمكن ان نثقف وننشئ عليها الأجيال ونكرس في أذهانهم مبدأ يُقر بأن هنالك أكثر من صح واحد وبأن تحقيق الذات الجماعية والفردية يجري بموازاة مع ضمان ذات الآخر وحقوقه الجماعية (أنا وأنت معا) (لبادي، ٢٠١٦، ٤٦٧-٤٨٠). ووفقاً لما سبق يمكن تقسيم التعدديات في المجتمع الى انواع كثيرة نسبيا، ولعل من اهمها:

أولا: التعددية اللغوية

يرى المختصون في علم اللغة أن اللغة تقوم بأربع وظائف رئيسية: الأولى في انها تقوم بعملية الاتصال مع الآخر. والثانية هي عملية تخيل الكون ومعرفته لأنفسنا في عقولنا. بينما الثالثة والرابعة تتمثلان بالوظيفة الوجدانية والادائية وهما مرتبطتان بالبحث عن تأويل المعنى بحسب السياق ومقام الخطاب. واللغة من وجهة نظر (جاك بيرك Jack Burke) ليست وسيلة للاتصال والتواصل فقط بل انها من الأسباب الرئيسية لوجود الانسان. كما انها تشكل القانون الاول الذي يفرض على جميع الاشخاص في المجتمع خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تقوده إلى الانتقال من الطبيعة إلى الثقافة. ومن خلال اللغة والثقافة يتبادل الخضوع للقانون مقابل الحصول على الهوية نتيجة علاقة الجزء بالكل (لبادي، ٢٠١٦، ٣٧).

والتعدد اللغوي ظاهرة واسعة الانتشار وهي من المسائل المألوفة للغاية في جميع انحاء العالم إذ يوجد في العالم (ستة آلاف لغة) مستخدمة وموزعة على (مائة وأربعين دولة) إذ تشير هذه الاحصائيات على أنهُ من النادر جداً أن نجد دولة أو مجتمعاً ذات لغة واحدة، بل أصبحت اللغات المتعددة سمة وركيزة أساسية من ركائز المجتمع وسنة

من سنن الكون. حتى على نطاق الدولة الواحدة يمكن ان تتعدد اللغة كما هو الحال بالنسبة للألمان والطليان والرومان، فضلاً عن الفرنسيين المنظمين تحت سقف الدولة السويسرية. وعلى نطاق الفرد فقد يرتبط في أحيان كثيرة التعدد اللغوي وتوسعه بعوامل ذاتية تحت تأثير دوافع ثقافية وتعليمية مثلما حدث مع عالم اللغات الأمريكي (جورج شميرث George Schmerth) الذي كان يتحدث (تسع عشرة لغة)، ومثله (جيمس موراي James Murray) صاحب معجم أوكسفورد للغة الذي كان يتقن أكثر من (عشرين لغة)، وتعد اللغة عاملاً كبيرا للولاء والشعور بالهوية التي تجعل الفرد من الناحية النظرية مطمئناً داخل السياق الاجتماعي في شكله المتحضر والمنفتح إذ يرى سلاسة في الاندماج مما يؤدي إلى القيام بواجباته تجاه المجتمع بأفضل طريقة ممكنة والمطالبة بحقوقه، لذلك نجد كثيرا من المختصين يدعون إلى تعلم اللغة الوطنية من أجل أن يضمن الفرد خصوصيته الثقافية واستقلاله الفكري فضلاً عن أن تعلم اللغات تُعدُّ حقا مشروعاً ومقصدا ثقافيا يحقق به الفرد ذاته للاطلاع على الثقافات الأخرى (لبادي، ٢٠١٦، ٣٦).

ثانيا: التعددية الاثنية

لفظ الإثنية "ethnicity" في اللغة مشتق من الكلمة اليونانية ethnos وهي تشير في ذات السياق من الناحية اللغوية إلى أصل الشعوب الذين لم يتبنوا النظام السياسي والاجتماعي لدولة المدينة، والإثنيون عند اليونانيين القدامى هم أفراد مبعدون عن ثقافتهم لكنهم غير مشمولين داخل دولة المدينة في العادات الكنسية، في حين أن المدلول المعاصر للإثنية يعني الجماعة السلالية أو العرقية.

والإثنية تعني مجموعة من الناس أو فئة اجتماعية تشترك في خصائص عرقية وثقافية وتستوطن رقعة جغرافية واحدة ويجمع بينها شعور بالتضامن والتناصر، كل ذلك يجعلها في عرف أعضائها وعرف الآخرين مجموعة متميزة فتتصرف هي ويتصرف الآخرون حيالها تبعا لذلك (فرقاني، ٢٠١٥، ١٦٩). وتجدر الإشارة الى توضيح معنى "العرق" التي وردت في التعريف السابق، اذ انه يعني نوع من أنواع الهوية، يعتمد على

المظهر الجسمي، ويستخدم لتصنيف الناس اجتماعيا قائما على شكلهم الظاهر عموما أو على خاصية بيولوجية أو جينية تميزهم عن الآخرين (بن جماعة، ٢٠٠٩، ٤٣–٤٤).

يعد العالم (سمنر Sumner) أول من استعمل هذا المفهوم (العرق Race) ويعني به اعتقاد الفرد الجازم بسمو ورفعة جماعته التي يعدها اساس كل الجماعات الموجودة في المجتمع. وقد قام العلماء بصياغة هذا المفهوم تميزا له عن الاثنية التي لا تعني الخصائص الفيزيقية والنفسية والاجتماعية فحسب بل تشمل كذلك السمات الثقافية الاخرى مثل الدين واللغة والمهنة وغيرها (عليوي، ٢٠١٤، ٥١٦).

كما يعرف (فرنسيس هنري Francis Henry) وآخرون العرق أو العنصر بأنه "فئة تستخدم لتصنيف الناس على أساس خاصية بيولوجية مشتركة وموروثة، يمكن من خلالها التمييز بين مجموعات مختلفة من الناس، مثل لون البشرة، ونعومة الشعر، وبنية الجسم، وملامح الوجه. وتشير (إيفلين كالن Evelyn Callen) إلى أن التعريف الصحيح لمفهوم العرق يقوم على أساسين: الأول أن العرق إنما هو تصنيف اجتماعي اعتباطي لا يقوم في حقيقته على الاجتماع أو الجماعات، والثاني أن العرق مفهوم متعلق فقط بالاختلافات البيولوجية المشاهدة ولا علاقة له بالفوارق الثقافية (بن جماعة، ٢٠٠٩، ٤٤).

وقد قدم كلا من (ستيفن كورنيل Stephen Cornell) و(دوغلاس هارتمان Douglas Hartman) عام ١٩٩٨ مناقشة مفيدة عن الاختلافات بين مفاهيم العرق والإثنية وفقا للبنائية الاجتماعية، فقد عرّفا العرق بأنه "مجموعة بشرية محددة بحكم الخصائص الفيزيائية المشتركة المتصورة التي يعتقد أنها ملازمة ... على خلاف ذلك، تعرف الإثنية بأنها شعور بانتماء مشترك قائم على الروابط الثقافية والتراث اللغوي القديم (الانتماءات الدينية، صلات القرابة، أو بعض السمات البدنية). وبالتالي فإن الأشخاص الذين يتم تصنيفهم عرقيا بالسود قد يكون لديهم مجموعة متنوعة من الهويات الإثنية إما على أساس القومية الأفريقية أو الدلائل الثقافية أو الهويات العابرة للحدود

الوطنية ودون الوطنية، التي نشأت من خلال اختلاط السكان المستعبدين في الأميركتين، على سبيل المثال: أميركي أفريقي" (مدونة بريدة).

وقد حدد (كورنيل وهارتمان Cornell and Hartman) خمس خصائص إضافية لتمييز العرق عن الإثنية (مدونة بريدة):

١- عادة ما تفرض الهوية العرقية خارجيا من قبل الغرباء، كما هو الحال عندما أوجد الأبيض العرق الزنجي لتجانس مجموعات إثنية متعددة احتلتها في أفريقيا أو جلبتها كعبيد إلى أميركا.

٢- العرق هو نتيجة للعولمة المبكرة، عندما اكتشف الرحّالَة الأوروبيون ثم احتلوا الشعوب التي تملك صفات مظهرية مختلفة جذريا عنهم.

٣- العرق ينطوي على علاقات القوة، من قوة أساسية لتحديد عرق الآخرين إلى قوة أكثر توسعية لحرمان بعض الجماعات العرقية من المصالح والمنفعة الاجتماعية والاقتصادية، أو السياسية.

٤- عادة ما تكون الهويات العرقية هرمية، مع النظر إلى بعض الأعراق على أنها متفوقة على غيرها.

٥- يعتقد أن الهوية العرقية فطرية متأصلة، فهي تولد مع الفرد.

وتركيب لفظ "الجماعة" مع "الإثنية ethnic group" اصطلاحا يشير إلى أنه كل تجمع بشري يشترك أفراده في بعض المقومات البيولوجية (كوحدة الأصل أو السلالة) أو الثقافية (كوحدة اللغة أو الدين أو التاريخ أو العادات والتقاليد) ويكون أفراد الجماعة العرقية وأفراد الجماعات الأخرى الذين يعيشون معهم ضمن الأمة نفسها مدركين تباين جماعتهم وتمايزهم عن غيرها في أي سمة من السمات على نحو يخلق لديهم الشعور بالانتماء لجماعتهم. ويرجع استخدام "الجماعة الاثنية" إلى قرن من الزمان ومحتوى المفهوم بوصفه تركيبًا اجتماعيا قديم، وقد حل هذا المفهوم حديثا محل مفهوم العنصر، لضعف مقولة إن الخصائص البيولوجية تحدد إلى قدر كبير

الخصائص الاجتماعية والحضارية عموما (فرقاني، ٢٠١٥، ١٦٩؛ عليوي، ٢٠١٤، ٥١٤).

يُعَد التنوع الإثني من أهم الظواهر الإنسانية التي تتقاسمها عدد من المجتمعات إذ ينتشر في العالم قرابة (٨٠٠٠) إثنية وبحسب بعض الباحثين فإن الإثنية أصبحت بتعدد دلالاتها تشكل تبديدًا للاستقرار السياسي لكثير من الدول، لأنها تهدد بخلق كيانات سياسية جديدة وتؤدي إلى انقسامات أو تحالفات جديدة، وبعض هذه الوحدات الصغرى (الإثنية) التي تقوم على روابط العرق والدين والانتماء القبلي تبدأ بتقوية علاقاتها الداخلية، مؤكدة وجودها ومؤثرة في سياسات الحكومات، وفي حالات محددة يكون وجود الحكومات مرتبطا بالتوجهات السياسية لهذه الوحدات الاجتماعية.

إن البعدين الإثني والثقافي يؤديان دورًا كبيرًا في تحديد هوية أي جماعة بشرية، ففي إفريقيا عمومًا تتراوح الأشكال التقليدية للهوية فيها ما بين القبيلة أو الجماعة الدينية أو اللغوية أو غيرها وهي بذلك تتعارض أو تتناقض مع الشعور والإحساس بالهوية الوطنية أو القومية، ولابد هنا من إدراك أن بناء الدولة الحديثة يجب أن يتخطى أطر الجماعات الإثنية والمحلية إلى بناء مؤسسات وأطر وطنية شاملة وبناء هذه الأطر الشاملة لا يعني بالضرورة القضاء على خصوصية الجماعات الإثنية الفرعية بل إبقاؤها ولكن ضمن إطار الوحدة الوطنية الشاملة التي تضم عموم الجماعة الوطنية (فرقاني، ٢٠١٥، ١٦٩).

ثالثا: التعددية الثقافية[١]:

(١) هناك **من يسميها الجماعات الثقافية ويعرفها على أنها وحدة اجتماعية شديدة التماسك يحس أفرادها بشعور قوي بالوحدة والتضامن وتميّز عن غيرها من الجماعات بثقافتها أو معالمها الثقافية أو بعنصر مغاير للثقافة الوراثية (المنظمة العالمية للملكية الفكرية، ٢٠١٣).**

طُرِح مصطلح (التعددية الثقافية) للمرة الأولى في أواسط الستينيات من القرن المنصرم عبر المفوضية الملكية الكندية، في إطار سعيها لمساعدة الحكومة على إدارة التعدد العرقي المتنامي حينذاك، وقد اقترن هذا الطرح بالإدراك الحريص والرغبة الإيجابية في التعاطي مع النتائج الاجتماعية والثقافية غير المقصودة وغير المتوقعة لموجات الهجرة المتنامية على نطاق كبير، كما اقترن بقيم المساواة والتسامح والانفتاح على المهاجرين من خلفيات متنوعة ومتباينة اثنيا (العلي، ٢٠١٦، ٤٧).

والتعددية الثقافية مصطلح يستعمل بثلاثة معان مختلفة: كوصف لحالة التنوع الثقافي في مجتمع ما، وكأيديولوجيا تهدف لشرعنة اعتبار التنوع العرقي في التركيبة العامة لمجتمع معين، وكسياسات عامة تهدف لخلق الوحدة الوطنية عبر التنوع العرقي في مجتمع بعينه (بن جماعة، ٢٠٠٩، ٣).

أن عبارة التنوع الثقافي تعني تعدد الأشكال التي تُعبِّر بها الجماعات والمجتمعات عن ثقافاتها وأشكال التعبير هذه يتم تناقلها داخل الجماعات والمجتمعات وفيما بينها، ولا يتمظهر التنوع الثقافي فقط من خلال تنوع أساليب التعبير عن التراث الثقافي للبشرية وإثرائه ونقله بواسطة أشكال التعبير الثقافي المتنوعة، بل يتجلى أيضاً من خلال تنوع أنماط إبداع أشكال التعبير الفني وإنتاجها ونشرها وتوزيعها والتمتع بها، أيا كانت الوسائل والتكنولوجيات المستخدمة في ذلك (United Nations Educational, 2005, 13) .

التنوع الثقافي لا يوجد فقط بين الجماعات والمجتمعات، بل داخل كل مجموعة ومجتمع أيضاً، وأن الهويات ليست مفردة، فكل فرد يحمل هوية متعددة ومعقدة، مما يجعله إنساناً فريداً من نوعه ويمكِّنه في الوقت ذاته من أن يكون جزءاً من مجتمعات ذات ثقافة مشتركة. ويعرّف الأفراد أنفسهم بطرق عديدة ويشاركون في الوقت نفسه في مجتمعات ثقافية عدة على أسس العرق والنسب والدين والمعتقدات والقناعات واللغة والجنس والعمر والانتماء الطبقي والمهنة وأسلوب الحياة والموقع الجغرافي، وبعبارة

أخرى فإنه "لا شك أن الهويات لا تقوم فقط على العرق ولا تكون موحدة داخل المجتمع نفسه، ويمكن أن يحملها أفراد مختلفون بمراتب ودرجات متفاوتة (الجمعية العامة للأمم المتحدة، ٢٠١٠، ١٣).

يرى عالم الاجتماع (آلان توران Alan Touran) إن التعدّدية الثقافية تنبع من ملاحظة تفيد أنه تُوجد في المجتمع محل البحث والدراسة فروقاً ثقافية، وأن الاعتراف بتلك الفروقات أمر صائب ، وبأفضل حالات الاعتراف به عندما تعتمد التعدّدية الثقافية على صورة للمجتمع هي صورة عدد من الفئات الثقافية المتمايزة التي يُفترض أنها تقبل بالعيش معاً ديمقراطياً من خلال الربط بين تأكيد خصوصياتها واحترام القيم المشتركة عالمياً مثل سيادة القانون وإعمال العقل (فيفيوركا، ٢٠١٨، ١٠٢). وتعد التعددية الثقافية تقدما كلما قام المجتمع المتعدد بالاعتراف بالتنوع الثقافي الذي يتشكل منه، وتعد تراجعا فيما لو تميل هذه المجتمعات المتعددة الى صدّ ومقاومة عمل الثقافات المتنوعة فيها (فيفيوركا، ٢٠١٨، ١٠٩).

وعلى الرغم من أنّ التنوع الثقافي ضرورة بشرية، فقد أظهر التاريخ وجود صدامات متكررة بين الثقافات المتنوعة غالباً، ما ينجم هذا النوع من الصراعات نتيجة لعدم تقبل الآخر، وبالتالي الدخول معه في زوبعة من الحروب والنزاعات (هماش).

ولم تغفل الاعلانات والمواثيق الدولية موضوع التعدد والتنوع الثقافي، بل لم تدع مناسبة الا وحاولت وضع التوصيفات والمعالجات له، ففي الإعلان العالمي بشأن التنوع الثقافي الذي يعد صك فريد من نوعه، فقد وضع حقوقاً مصنفة بصورة صريحة على أنها حقوق ثقافية. ونصت المادة ٥ من الإعلان على ما يأتي (الجمعية العامة للأمم المتحدة، ٢٠١٠، ٦):

يقتضي ازدهار التنوع المبدع الإعمال الكاملة للحقوق الثقافية كما حُددت في المادة ٢٧ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وفي المادتين ١٣ و١٥ من العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وبناء على ذلك ينبغي أن يتمتع كل شخص بالقدرة على التعبير عن نفسه وإبداع أعماله ونشرها باللغة التي

يختارها، لا سيما بلغته الأصلية ولكل شخص الحق في تعليم وتدريب جيّدين يحترمان هويته الثقافية احتراماً كاملاً، وينبغي أن يتمتع كل شخص بالقدرة على المشاركة في الحياة الثقافية التي يختارها وأن يمارس تقاليده الثقافية الخاصة في الحدود التي يفرضها احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية.

ونصت المادة الأولى من اعلان اليونسكو[٢] العالمي لعام ٢٠٠١ بخصوص التنوع الثقافي، والذي حمل عنوان: "التنوع الثقافي بوصفه تراثا مشتركا للإنسانية"، تتخذ الثقافة أشكالاً متنوعة عبر المكان والزمان. ويتجلى هذا التنوّع في أصالة وتعدد الهويات المميّزة للمجموعات والمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية. والتنوع الثقافي بوصفه مصدراً للتبادل والتجديد والإبداع هو ضروري للجنس البشري، كضرورة التنوع البيولوجي بالنسبة للكائنات الحية. وبهذا المعنى فإن التنوّع الثقافي هو التراث المشترك للإنسانية، وينبغي الاعتراف به والتأكيد عليه لصالح أجيال الحاضر والمستقبل (العلي، ٢٠١٦، ٤٥).

ونصت المادة الثانية التي حملت عنوان: "من التنوع الثقافي الى التعددية الثقافية"، لا بد في مجتمعاتنا التي تتزايد تنوعاً يوماً بعد يوم من ضمان التفاعل المنسجم والرغبة في العيش معا فيما بين أفراد ومجموعات ذوي هويات ثقافية متعددة ومتنوعة وديناميةة. فالسياسات التي تشجع على دمج كل المواطنين ومشاركتهم تضمن التلاحم الاجتماعي وحيوية المجتمع المدني والسلام. وبهذا المعنى فإن التعددية الثقافية هي الرد السياسي على واقع التنوّع الثقافي. ولأنها لا يمكن فصلها عن وجود إطار ديمقراطي؛ فإنها تيّسر المبادلات الثقافية وازدهار القدرات الإبداعية التي تغذي الحياة العامة (العلي، ٢٠١٦،

---

(٢) وفقا لاتفاقية منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) المتعلقة بحماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي (٢٠٠٥)، يحيل التنوع الثقافي إلى شتى وسائل التعبير عن ثقافات المجموعات والمجتمعات. وتُنقل أشكال التعبير هذه داخل المجموعات والمجتمعات وفيما بينها (المنظمة العالمية للملكية الفكرية، ٢٠١٣، ٢).

٤٥-٤٦) . وفي هذا السياق يمكن تمييز منحيين اثنين لظهور فكرة التعددية الثقافية على المستوى العالمي:

١- الانتشار الكثيف للخطاب السياسي للتعددية الثقافية والذي تتبنّاه شبكات دولية غير حكومية وعلماء وباحثون ومخططون؛ والذي يتمثّل في عقد المزيد من المؤتمرات وورشات العمل وغيرها من الأنشطة الرامية إلى تمكين الكوادر المحلية في الدول المعنية وتدريبها على مواجهة التغييرات المستجدة في إدارة التعدد.

٢ – تقنين حقوق الانسان، من خلال بناء القواعد القانونية الدولية المتعلقة بحقوق الأقليات. فقد تبنّت الأمم المتحدة في عام ١٩٩٢ إعلاناً بشأن حقوق الأشخاص الذين ينتمون إلى أقليات قومية أو عرقية أو دينية أو لغوية كما ناقشت مسودة لإعلان حقوق الشعوب الأصلية. كما أن منظمات أخرى مثل اليونسكو ومنظمة العمل الدولية والبنك الدولي. طوّرت أيضاً قواعد ومعايير جديدة بشأن حقوق الأقليات وحقوق الشعوب الأصلية (كيمليكا، ٢٠١١، ١٨-١٩).

جاء في اتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي أنه لن يتسنى حماية التنوع الثقافي وتعزيزه ما لم تُكفل حقوق الإنسان والحريات الأساسية، مثل حرية التعبير والإعلام والاتصال، وما لم تكن للأفراد قدرة على اختيار أشكال التعبير الثقافي، ويؤدي الحق في المشاركة أو عدم المشاركة في الحياة الثقافية لمجتمعات معينة، على النحو الذي حدده صناع القرار في هذه المجتمعات أو سلطات الدولة، دوراً أساسياً في حماية التنوع الثقافي، وممارسة الجميع للحريات الثقافية من شأنه تعزيز التنوع الثقافي (الجمعية العامة للأمم المتحدة، ٢٠١٠، ١٤).

رابعاً: التعددية الدينية

يمثل مفهوم التعددية الدينية مبحثا من مباحث فلسفة الدين، وهو كذلك يمثل الاعتراف بالكثرة والتنوع والاقرار بوجود تباين يرفض الاختزال والمقارنة بين الديانات والثقافات والتجارب البشرية واللغات، وترتبط بمجالين يمكن أن يكسبا صبغتها وهما: المجال الديني الثقافي، والمجال الاجتماعي، فهناك (تديْن تعددي) كما يوجد (مجتمع

تعددي) وهما مرتبطان مع بعض إذ لا يمكن لأنصار التعددية الدينية الثقافية الانسلاخ من التعددية الاجتماعية (الحيدري، ٢٠٢٠، ٥٠١).

أن مبدأ التعددية الدينية بدأ في الحقل الفلسفي الشكيّ عندما حلّ محلّ الفلسفات اليقينية، وكان (لبيركلي Berkeley) ثم (ديفيد هيوم David Hume) اليد العليا لإحلال مبدأ الشك في العصر الحديث، وعُمم هذا المبدأ على قانون العلية، لأن هذا القانون لا يتجاوز مدركات النفس البشرية، وعليه فلا سبيل للإنسان لمعرفة الواقع الموضوعي لقانون العلية خارج النفس، وإذا سقط قانون العلية عن الموضوعية فلا سبيل لمعرفة الله كما يقول (ديفيد هيوم). ثم انسحب هذا المبدأ الشكي على الحقل السياسي والفكري والديني (بسيوني، ٢٠١٦، ٤٢٨).

ويعد (ويلفرد كنتول Wilfred Kentul) وهو أستاذ في معهد الالهيات في هارفرد، أول من دعا الى نظرية التعددية الدينية ومن ثم نقلها من بعده اخرون، لا سيما المفكر المعاصر (جون هيك John Heck) الذي كان أحد تلامذته، وهو أحد أبرز المنظّرين للتعددية الدينية، وقد ناقش الأخير في كتابه "فلسفة الدين" الذي كان قد طبع عام ١٩٦٣، هذه النظرية وبشكل مفصل نسبياً (حب الله، ٢٠٠١، ٥٤–٥٥).

وفقا لرأي كل من (مايكل هارالامبوس Michael Haralambos) و (روبن هيلد Robin Held) فأن التعددية الدينية تكون حيثما يوجد أكثر من ايمان في مجتمع ما، والمجتمع المنقسم يُضعِف تأثير الدين من ان يكون قوة التحام في المجتمع. وبالنسبة لـ (هارالامبوس وهايد)، لا يمكن للدين أن يعزز المعايير والقيم المجتمعية بفعالية إلا عندما يحتكر الدين الواحد داخل ذلك المجتمع الحقيقة. فالتعدد او التنوّع الديني يمنع الدين من أداء دوره التقليدي في توحيد المجتمع. ولكن في أي معنى يمكن أن يؤثر وجود ديانات متعددة ومتنوعة داخل مجتمع واحد سلبا على الاستقرار الاجتماعي؟

أن التعددية الدينية قد تشكل تهديداً للاندماج الاجتماعي بسبب بعض الأصوليين، أولئك الذين يؤكدون أن معتقداتهم الدينية لا يمكن التشكيك فيها أبداً، على سبيل المثال

يعتقد الأصوليون المسيحيون أن المعنى الوحيد للكتاب المقدس هو المعنى الحرفي للكلمات ولا يقبلون أي قراءة بديلة ويصبح مثل هذا الموقف خطيرا على المجتمع عندما يتحول إلى تعصب ديني، أي عندما تكون جماعة دينية تسعى لسبب معين وتستخدم العنف لتحقيق رؤيتها. هذا التعدد في المعتقدات الدينية، عندما ينظر إليها عن كثب تكشف عن أن كل إنسان، سواء كان أصولياً، ملحداً، مخلصاً، مؤمناً، إلخ، يبحث عن معنى الوجود البشري. وترتبط المواقف المتعلقة بالدين بهذا السؤال الوجودي (Ndayambaje, 2013, 4).

ويختلف الناس وتتنوع معتقداتهم الدينية ومذاهبهم نتيجة لتأثير العواطف والانفعالات، مثل الانتماء لعائلة أو لبيئة اجتماعية، قد تجعل الإنسان لا يتأمل كثيرا في الدين والمذهب الذي يؤمن به، وإنما يتبع أسرته ومجتمعه اتباعا عاطفيا انفعاليا. وهناك نظرة إيجابية، تفسر هذه الظاهرة بالاختلاف الطبيعي بين بيئات الناس وظروفهم، فكل إنسان يجد نفسه في بيئة وظرف معين، يدفعانه نحو قناعات معينة، فضلا عن اختلاف اجتهادات الناس، لا سيما في قراءة النصوص الدينية، فليست المسألة دائما مسألة عناد أو انحراف فهم أو غلبة عاطفة أو تآمر، بل هذا ما قادهم إليه تفكيرهم في هذه الآية أو تلك الرواية، فتنوع الأديان والمذاهب سببه عند غالبية الناس هو اختلاف البيئات والظروف والاجتهادات، دون نفي تأثير العوامل الاخرى (صليل، ٢٠١٥، ١٧).

ويرى دعاة البلورالية أنه ثمة دين واحد جاء من عند الله، إلا أن له مظاهر متعددة، فالاختلاف ليس قائماً في جوهر الدين إنما في فهمه، أما الحقيقة المطلقة فليست بيد أحد، وإنما يدرك كل شخص مظهر من مظاهرها. ثم إن البحث في صحة دين أو بطلانه ليس له من معنى بالأصل، فإدراك كل مظهر للحقيقة يأتي وفق ذهنية كل واحد منا، وظروفه الخاصة به. وقد أوضح (جون هيك) استعانته بالتفكيك الموجود عند (كانط Kant) لبيان هذا المعنى من التعددية، ذلك التفكيك القائم على أن الشيء في نفسه غير الشيء عندنا، او الشيء في ذاته يختلف عنه في اذهاننا، لذا لا يمكن

أن نصل إلى الحقائق التي لم تقع بأيدينا، وإنما أن نعي ما ندركه وفق قوالب ذهنية سابقة (الفوالجة).

إن الديانات العالمية بحسب رؤية (هيك) تمثل استجابات متنوعة لذات الحقيقة المحتجبة بذاتها عن الإدراك البشري، لكنها مع ذلك حاضرة في وجودنا ونتفاعل معها، ونتعرف إليها من خلال نُظم دينية متعددة، يشتمل كل منها على نصوص مقدسة وتجارب روحية ومعتقدات ونظماً وتعابير ثقافية وعادات وأشكالاً فنية تمثل بمجملها كيانات دينية تاريخية ذات طبيعة معقدة وشاملة، لتعبر عن استجابات بشرية مختلفة للحقيقة الإلهية المطلقة، ويتم مناقشة هذه المفاهيم من منطلق ملازمة التعددية الدينية للتعددية المجتمعية، فضلاً عن أن الاستجابة للدين والإذعان لأدلته والانجذاب لحقائقه متعدد أيضاً، لأنه يحدث نتيجة نمو نفسي وعبر مراحل تشّكل الذات ضمن محيطها ومجتمعها (الحيدري، ٢٠٢٠، ٥١١).

ويخلص (جون هيك) إلى تعريف التعددية الدينية بكونها تمثل وجهة النظر التي تشير إلى "أن الديانات العالمية عبارة عن أفهام وتصورات متنوعة عن الحقيقة الإلهية، واستجابات متنوعة للحقيقة النهائية المطلقة من خلال ثقافات الناس المختلفة، وتَحوّل الوجود الإنساني من محورية الذات إلى محورية الحقيقة الذي يحدث في جميع الديانات بنسب متساوية" (الحيدري، ٢٠٢٠، ٥١٢).

ويعد (عبد الكريم سروش) من أبرز الشخصيات الفكرية الإسلامية التي تطرقت لنظرية التعددية الدينية. وحاول التأصيل لمفهوم التعددية الدينية بمعناها الشامل عن طريق التأكيد على أن التعددية الاجتماعية والسياسية لا تنفصلان عن التعددية الدينية، إذ أن التعددية ليست وسيلة أو أداة نستعملها في مسائل ونعطلها في أخرى، إنما هي ركيزة ومبدأ أساسي تنبني عليه حياة البشر. ويعتقد أن أول من رسخ مفهوم التعددية هو الله سبحانه وتعالى، حينما قام بإرسال أنبياء متعددين إلى شعوب مختلفة، وقد دعا في كتبه المنزلة والمقدسة، إلى الحوار بين الديانات، والابتعاد عن (الانحصارية

exclusivity) التي يقوم بممارستها الكثير من أفراد الديانات المختلفة، الذين يّدعون الحقّانيّة للديانة التي ينتمون إليها، ويتهمون كل من يخالفهم بالرأي والمعتقد بالضلال، وعليهم أن يُدركوا أن طرق الوصول إلى الله بقدر عدد الخلائق، فالله واحد لكن الخلق كثيرون، والسر وراء التنوع في إيماننا بالله دليل على أن الله لم يُقصر عباده للوصول إليه من خلال طريق واحدة، لأن الاقتصار على طريق واحدة يمثل نقصاناً في الذات الإلهية نتيجة تحيزها إلى جهة دينية واحدة، في حين أن الواقع يشير إلى أن الله موجود في كل مكان، حتى داخل الذوات الإنسانية (الحيدري، ٢٠٢٠، ٥١٢).

وينطلق (سروش) من مبدأ بشرية المعرفة الدينية بوصفها بناءً إنسانياً يتطور بحسب الفهم المتغير للعالم، فالدين لا يصيبه التغيير في حد ذاته، في حين أن الفهم البشري للدين والمعرفة المرتبطة به يتغيران؛ لأن المعرفة الدينية ليست إلهية من منطلق الموضوعات الدينية التي تعالجها، ومن أجل ذلك يعمد سروش إلى كشف أوليات الفهم الديني، وتبيان أوصاف المعرفة الدينية فيما يخص سائر أنواع المعرفة الإنسانية، وتحديد العلاقات القائمة بين المعرفة الدينية والمعارف الإنسانية، ومن ثَّم إيضاح سر تحول المعرفة الدينية وثباتها تاريخيا (الحيدري، ٢٠٢٠، ٥١٣).

أن التعددية الدينية عند (سروش) تستند إلى دعامتين: الأولى تتمثل بالتنوع في الفهم الديني من لدُن الناس. والثانية في التفسيرات المختلفة للتجربة الدينية. والتعددية تمثل نتاجاً من نتاجات الحضارة الحالية، وتبحث في مجالين: الأول يتعلق بمجال الديانات والثقافات، والثاني يتعلق بالمجال الاجتماعي، ومن ثَّم توجد تعددية دينية وتعددية اجتماعية، وتوجد رابطة وثيقة فيما بين التعدديتين.

ويرى (سروش) ضرورة التعددية الدينية؛ لأننا لا نمتلك الحق الخالص ولا الباطل الخالص، وهذا الكلام غير معني بأصل الديانات، بل في فهم الناس لها، وما نراه من صراع ديني سواء في دائرة الديانة الواحدة أو خارجها يؤكد هذا الأمر، وأغلب أفراد الديانات يرفض تغيير عقيدته؛ لأنه يرى فيها كل أشكال الجمال والصدق والحق، وفي

الوقت نفسه يرى في العقائد الأخرى كل أشكال القبح، وهذا الأمر غير صحيح (الحيدري، ٢٠٢٠، ٥١٥).

وفي سياق حديثنا عن الاعتقاد والدين، يصبح حتميا الإشارة الى معنى الطائفة والمذهب، ويمكن تعريف الطائفة بكونها قدر من العمومية والإطلاق حول معاني الجماعة والرابطة والفرقة. بيد أن مصطلح الطائفية[٣] يشير إلى ظاهرة أو حالة اجتماعية وسياسية يعيشها مجتمع متنوع (الأديان أو الأعراق أو السلالات أو الثقافات أو المذاهب). بمعنى آخر، أية توصيفات وتقريرات تتعلق بشكل ومضمون علاقات وتفاعلات الطوائف والفرق المختلفة في المجتمع سلبًا وإيجابًا، هي مما يرتبط بماهية الحالة الطائفية في هذا المجتمع (توفيق، ٢٠١٤، ١٩). أما (المذهب) فيقصد به وجهات نظر تشكلت عبر التاريخ بمساهمة أعلام، أو بمساهمة جماعية كُتِب لها الانتشار والامتداد والاستمرار دون أن ينحصر انتشارها في عرق أو قومية معينة (توفيق، ٢٠١٤، ٢٠).

خامساً: التعددية السياسية

نوع من التنظيم الاجتماعي يتعلق ببنية النظام السياسي واليات عمله، فالواقع الاجتماعي ينطوي عادة على تعدد الاتجاهات والمذاهب الفكرية وهذا التنوع نتيجة تلقائية لتنوع ظروف الواقع بين حين واخر، وان التعددية السياسية انعكاس للتعددية الاجتماعية كون التعددية حقيقة مجتمعية تألفها الإنسانية (عمران، ٢٠١٢، ٣).

يعد مصطلح التعددية السياسية حديث الظهور والاستعمال، وانه وثيق الصلة بمصطلح الديمقراطية والإدارة الرشيدة للمجتمع، كما أنه يقارب مصطلح الشورى في

---

(٣) يرى المفكر "برهان غليون" أن التعددية الطائفية لا تتحول إلى مشكلة تهدد الديمقراطية كما تهدد الحياة الوطنية حتى في الدول الاستبدادية، إلا عندما يغلب الانتماء للطائفة أو العشيرة على الانتماء للجماعة الوطنية أو يمحوه، أو يتنازع معه أو عندما يصبح الإطار الوحيد للتضامن. ولا يحصل ذلك إلا نتيجة نقص أو عطب في النظام السياسي العام. (فرقاني، ٢٠١٥، ١٧٠).

Regional Studies Journal, Vol.19, No.64, April 2025 (251-290)
Print ISSN: 1813-4610 Online ISSN: 2664-2948

الإسلام. وبالرجوع قليلا الى معنى التعددية فأنها اولا: تعني الاعتراف بوجود تنوع في مجتمع ما بفعل وجود دوائر انتماء عدة فيه ضمن هويته الواحدة. وثانيا: تعني احترام هذا التنوع وقبول ما يترتب عليه من خلاف أو اختلاف في العقائد والألسنة والمصالح وأنماط الحياة. وثالثا: تعني إيجاد صيغ ملائمة للتعبير عن ذلك كله بحرية في إطار مناسب وبشكل يحول دون نشوب صراع يهدد سلامة المجتمع (مطلق، ٢٠١٤، ٤٥٩).

والتعددية السياسية أيضا يقصد بها تعددية الأحزاب أو تعددية الأفكار والمدارس الفكرية السياسية، فالتعددية السياسية هي الإدارة الرشيدة للتعدد الاجتماعي من خلال المشاركة السياسية العادلة وفقاً لأسس تتقبلها وتحترمها قوى المجتمع الرئيسية، وأن توظف الحرية السياسية للتعبير عن الرأي السياسي دون تردد وفي إدارة الحكم وشؤونه فضلاً عن علاقة الحكام بالمحكومين وعلاقة الدولة بالدول الأخرى (جبر، ٢٠٢٠، ٣٨).

والتعددية السياسية تعني أيضاً توزيع السلطة السياسية عن طريق ترتيبات وأشكال مؤسساتية، وفي العديد من الأحيان يستخدم هذا المفهوم للدلالة على الوضع الذي لا يكون فيه الحكم والسلطة حكرا لجماعة سياسية معينة، هذا الوضع دائما يكون محل تنافس ما بين جماعة النخبة وجماعات المصالح. وفي العديد من الأحيان يقابل المجتمع التعددي المجتمع الذي تسوده صفوة واحدة ولا يكون فيه التنافس حرا، وكان الأساس النظري للتعددية الاعتقاد بأن السلطة الحاكمة هي بطبيعتها موزعة أو يجب أن تكون كذلك بين أصحاب المصالح وجماعات الضغط داخل المجتمع. وعليه فأن مفهوم التعددية يتعارض مع مفهوم الأحادية التي تقر بأن الحكم داخل الدولة مرهون بشخص محدد أو جماعة أو فئة أو طائفة معينة. ويرى أصحاب الفكر التعددي أنه من الأفضل للأشخاص أن يرتبطون سياسيا بمجموعة متعددة ومتنوعة من الجماعات والمصالح، وهم يعتقدون بأن هذه الجماعات والمصالح أقدم من الدولة تاريخيا إذ أنّ الدولة وفقاً للمنظور الواقعي تتألف وتتشكل من هؤلاء الجماعات والأفراد ويعتبرون جزء

لا يتجزأ من الدولة وبالتالي تكون الدولة ذات رؤية توفيقية وتعددية وليست فردية وآمرية (جبر، ٢٠٢٠، ٣٩).

وفي الفكر الغربي تشير إلى رضا الأشخاص والمؤسسات العامة بالآراء السياسية المتعارضة تعززها مؤسسات منظمة بشكل طوعي وجماعات تحاول الحصول على منافع معينة، وتشير أيضاً إلى السماح بوجود حكومات متعاقبة وأنظمة حكم منتخبة شرعيا من قبل الشعب هذا المفهوم كان يترسخ بالدرجة الأولى في المجتمعات الأوربية ومجتمعات أمريكا الشمالية؛ التي شهدت نهضة عمرانية وثورة صناعية كبيرة، الا ان البعض يرى أنّ هذا المفهوم قد ترسخ وبشكل فعلي في تلك المجتمعات التي لا زالت تحتفظ بإرثها القديم ولم تتخلى عن مبادئها القديمة لكنها أخذت بالتطور الاجتماعي والسياسي والاقتصادي بشكل كبير بفضل التقدم العالمي وسياسة الانفتاح الحديثة التي شهدها العالم. وتعتمد التعددية السياسية على عناصر أساسية تتمثل بما يلي: (جبر، ٢٠٢٠، ٤٠):

١- القبول والاعتراف بالآخر، وهو مطلب رئيس من أجل التعايش السلمي والتفاهم والتحاور ومن ضمن شروط وأساسيات التعددية السياسية الاحترام المتبادل بين جميع الأطراف من دون احتكار الآراء واتخاذ مواقف معادية وعنصرية، وهذا يُعدُّ جزْء من (الأمن المجتمعي) الذي يجب المحافظة عليه.

٢- أنَ تكون القواسم المشتركة والمصلحة العامة والعليا للدولة هي التي يجب أن تتشكل في ظلها التعددية السياسية؛ أو ما يعرف بالاتفاق الكلي الذي يأخذ في ضوء الاعتبار مصالح المجتمع العلياء ولا يجوز خرقها تحت أي ظرف كان والحفاظ عليها ورفض الخضوع والإهانة والتبعية.

٣- التعددية السياسية في أهدافها العليا والمثالية تُعدُّ تعددية في المشاريع التي تعمل على خدمة وتطور المجتمع ومصالحه العلياء إذ نجد من يؤوّل الاهتمام بالمسائل

الاجتماعية في ابعادها الاقتصادية والسياسية فضلاً عن الاهتمام في مسائل حقوق الإنسان وقضايا المرأة والتعليم وما إلى ذلك.

الخاتمة والاستنتاجات

لا يقتصر مفهوم "المجتمعات المتعددة" على مجرد التباينات داخل المجتمع، بل يشير إلى بناء اجتماعي معقد. بسبب تواجد مجموعات متنوعة من الثقافات، الأعراق، الأديان، واللغات وغيرها من الخصوصيات التي تمتاز بها فئة اجتماعية عن اخرى ضمن إطار اقليمي واحد، مما يتطلب عدم احتكار صنع القرار والأخذ بالتعددية كوسيلة لإدارة الاختلافات وتحقيق التوافق بين الفئات المتعددة. لذلك فإن البحث في هذا المجال يظل ذا أهمية كبيرة لصناع القرار والباحثين على حد سواء، من أجل تعزيز التعايش السلمي والاستقرار في تلك المجتمعات.

الاستنتاجات: خرج البحث بعدد من الاستنتاجات أهمها:

أولا: هناك خصائص تصف المجتمعات المتعددة: يشير مفهوم المجتمعات المتعددة إلى العديد من السمات التي تصف مجتمعاً ما ضمن دولة واحدة، منها صعوبة خلق هوية وطنية مشتركة، ووجود انقسامات بين الجماعات المتباينة داخلها. وأن النجاح في إدارتها يتطلب سياسات شاملة تستند إلى مبادئ المواطنة المتساوية، وتوفير آليات لتحقيق العدالة الاجتماعية فيها.

ثانياً: التعددية المجتمعية لا تعني بالضرورة حالة سلبية:

فالتنوع الثقافي والاجتماعي والقومي والديني يمكن أن يكون مصدراً للقوة والثراء إذا تم التعامل معه بحكمة، ولكنه قد يتحول إلى مصدر للصراع إذا تم إهماله أو إدارته بشكل خاطئ. وللقيادة السياسية دوراً محورياً في ذلك. فالقادة الذين يعترفون بالتعدد ويستثمرون في التنوع الثقافي والاقتصادي، قادرون على تعزيز الوحدة الوطنية، فيكون التنوع حين إذ عنصر قوة، بينما القادة الذين يستغلون الانقسامات لتحقيق مكاسب سياسية قصيرة الأجل قد يُعرّضون استقرار المجتمع للخطر، فتكون مصدر ضعف.

ثالثاً: هناك عدة أنواع من التعددية منها:

- التعددية الثقافية: وتعني وجود ثقافات متعددة تعيش جنبًا إلى جنب، حيث يحتفظ الأفراد بهوياتهم الثقافية.
- التعددية الدينية: وتشير إلى وجود أديان مختلفة في المجتمع، مما يستدعي الحوار والتفاهم بين الأديان.
- التعددية الإثنية والاجتماعية وتشمل التنوع في الطبقات الاثنية والاجتماعية والقيم والأخلاقيات داخل المجتمع.

المصادر والمراجع

المصادر العربية:

الجمعية العامة للأمم المتحدة. (٢٠١٠). *تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان، المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بما في ذلك الحق في التنمية*

Promote and Protect All Human Rights, Civil, Political, Economic, Social and Cultural, Including the Right to Development.

الحيدري، إ. ع. ع. (٢٠٢٠). التعددية الدينية من منظور فلسفي *Religious Pluralism from A Philosophical Perspective*. *مجلة مداد الآداب*، ٢٠.

الربيعي، ف.، وكوثراني، و. (٢٠١١). *حوارات لقرن جديد: الطائفية والحرب New Century Conversations: Sectarianism and War*. دار الفكر.

الريحان، و. (د.ت). *مناهج التنوع الثقافي: الاستيعاب الثقافي نموذجاً Cultural Diversity Curricula: Cultural Assimilation as a Model*. المركزالعربي للبحوث والدراسات. http://www.acrseg.org/41643

الصالح، م. (١٩٩٩). *الشامل: قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية Comprehensive: Social Sciences Terminology Dictionary*. دار عالم الكتب.

العلي، ط. (٢٠١٦). *الهوية Identity*. بيت المواطن للنشر والتوزيع.

الفوالجة، س. (د.ت). *التعددية الدينية في المنظور الغربي Religious Pluralism in Western Perspective*. موقع الرشاد

https://tinyurl.com/4kp75ev3

الكيالي، ع. (١٩٩١). *موسوعة السياسة Politics Encyclopedia*. الدار العربية للنشر والتوزيع.

المنظمة العالمية للملكية الفكرية. (٢٠١٣). *مسرد بالمصطلحات الرئيسية المتعلقة بالملكية الفكرية والموارد الوراثية والمعارف التقليدية وأشكال التعبير الثقافي التقليدي The Main Terms Related to Intellectual Property, Genetic Resources, Traditional Knowledge and Traditional Cultural Expression Forms*. اللجنة الحكومية الدولية المعنية بالملكية الفكرية والموارد الوراثية والمعارف التقليدية والفولكلور

https://tinyurl.com/256hwwzf

بدوي، أ. ز. (١٩٨٢). *معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: إنجليزي فرنسي عربي Social Sciences Glossary: English -French Arabic*. (ط ٢). مكتبة لبنان للطباعة والنشر.

بسيوني، م. م. (٢٠١٦). التعددية الدينية: رؤية نقدية Religious Pluralism: A Critical Vision. *مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الانسانية*، ٦ (١٢).

بن جماعة، م. (أيار ٢٠٠٩). التعددية الثقافية ومفهوم الهوية المتعددة الأبعاد Cultural Pluralism and the Multi -Dimensional Identity Concept. *المفاهيم والتحديات*

https://tinyurl.com/382p29ff

توفيق، م. ت. (٢٠١٤). *التعددية الدينية والإثنية في مصر: دراسة في طبيعة العلاقات والتفاعلات Religious and Ethnic Pluralism in Egypt: A Study in the Relationships and Interactions Nature*. مركز نماء للبحوث والدراسات.

جاد الرب، ح. ا. (٢٠١٠). *معجم المصطلحات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية Political, Diplomatic and Economic Terms Dictionary*. دار العلوم.

جبر، خ. ن. ن. (٢٠٢٠). *بناء السلام والتعددية المجتمعية في العراق بعد عام ٢٠١٤: دراسة تحليلية Building Peace and Societal Pluralism in Iraq after 2014: An Analytical Study*، *رسالة ماجستير غير منشورة*. جامعة تكريت.

حب الله، ح. (٢٠٠١). *التعددية الدينية: نظرة في المذهب البلورالي Religious Pluralism: A Look at the Bluorian Doctrine*. الغدير للدراسات والنشر.

ديكت، ع. (د.ت). *معجم اللغة العربية المعاصرة Contemporary Arabic Dictionary*.

https://tinyurl.com/yc2c8md7

راتانسي، ع. (٢٠١٣). *التعددية الثقافية: مقدمة قصيرة جداً Cultural Pluralism: A Very Short Introduction*. (ل. ع. تركي (مترجم)). مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

سالك، ن. (٢٠١٦). *الآليات المؤسساتية لإدارة التعدد الإثني Institutional Mechanisms for the Ethnicity Management*، *أطروحة دكتوراه غير منشورة*. جامعة باتنة ١.

سميث، أ. د. (٢٠٠٨). *الأسس الثقافية للأمم: الهرمية والعهد والجمهورية Nations Cultural Foundations: Hierarchy, Era and Republic*. (ص. المختار (مترجم)). مؤسسة هنداوي.

سميث، ش. س. (٢٠٠٩). *موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية Human Science Encyclopedia: Anthropological Concepts and Terminology*. (المركز القومي للترجمة (مترجم)) (ط ٢). المركز القومي للترجمة.

صابر، ن. ن.، ومحمد، ش. إ. (٢٠٢٠). التحليل السوسيولوجي للتعايش السلمي في المجتمع الكوردي Sociological Analysis of Peaceful Coexistence in Kurdish Society. *مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية*، ٢٧ (١).

صليل، م. ج. (٢٠١٥). *التعددية الدينية: قراءة في المعنى Religious Pluralism: Reading in Meaning*. مكتبة الملك فهد الوطنية.

علیوي، ا. ز. (٢٠١٤). التنوع الإثني والتعايش السلمي في العراق: كركوك أنموذجاً Ethnic Diversity and Peaceful Coexistence in Iraq: Kirkuk as A Model. *مجلة الآداب*، ١٠٩.

عمران، ع. ج. (٢٠١٢). التعددية السياسية في دول المشرق العربي: أسس التجربة وحدود الممارسة Political Pluralism in the Countries of the Arab East: The Experience Foundations and the Practice Limits. *مجلة العلوم السياسية*، ٤٥.

عوض، ج. س. (١٩٩٣). مفهوم التعددية في الأدبيات المعاصرة: مراجعة نقدية The Pluralism Concept in Contemporary Literature: A Critical Review. *محاضرة ألقيت في ندوة: "التعددية الحزبية والدينية والطائفية في قلب العالم الإسلامي: الوطن العربي."*

عياش، إ. (٢٠١٨). الهوية وإدارة التعدد والتنوع المجتمعي Identity, Pluralism Management and Community Diversity. في *دراسات اجتماعية*. المعهد المصري للدراسات.

فرقاني، ف. (٢٠١٥). تأثير التعدد الإثني في الاستقرار السياسي والأمني في شمال إفريقيا دراسة حالة الطوارق في مالي إثر الحرب الليبية The Ethnic Pluralism Effect on Political and Security Stability in North Africa Studying the Tuareg Case in Mali Following the Libyan War. *مجلة رؤية تركية*، ٤ (٤).

فيفيوركا، م. (٢٠١٨). التعددية الثقافية مفهوم يجب إعادة بنائه Cultural Pluralism is a Concept That Must Be Rebuilt. (ع. أيوب (مترجم)). *مجلة الاستغراب*، ١٠.

كيمليكا، و. (٢٠١١). *أوديسا التعددية الثقافية: سبر السياسات الدولية الجديدة في التنوع* *Odessa Cultural Pluralism: Supply the New International Policies in Diversity*. (إ. ع. إمام (مترجم)) (مج. ١). المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

لبادي، ف. (٢٠١٦). *إشكالية إدارة التنوع الإثني العرقي في العالم العربي منذ نهاية الحرب الباردة دراسة حالتي السودان والعراق* *The Managing Ethnic Racialist Problem in the Arab World Since the End of the Cold War, the Study of the Case of Sudan and Iraq*، *رسالة ماجستير غير منشورة*. جامعة محمد خيضر.

مجمع اللغة العربية. (د.ت). *المعجم الوسيط* *Intermediate Dictionary*.

مدونة بريدة. (د.ت). *الاختلاف بين العرقية والإثنية (مقال)* *The Difference Between Ethnic and Ethnicity (Article)*.

مربعي، ب. (٢٠١٥). *آليات إدارة التعددية الإثنية ودورها في بناء الدولة: دراسة في النموذج الماليزي* *The Ethnic Pluralism Management Mechanisms and its Role in Building the State: A Study in the Malaysian Model*، *رسالة ماجستير غير منشورة*. جامعة محمد خضير.

مركز جون دي جيرثارت. (٢٠١٠). العمل الخيري والمشاركة المدنية، موجز الحلول: التنوع والشمولية في العطاء الاجتماعي Charitable Work and Civil Participation, the Solutions Summary: Diversity and Comprehensiveness in Social Giving. (ملتقى المؤسسات العربية الداعمة (مترجم))، *الموسوعة العربية للعطاء الاجتماعي*. مجلس المؤسسات.

مصطفى، ي. (٢٠١٩). الديمقراطية والتنوع الثقافي الكلمة للأقليات Democracy

and Cultural Diversity the Word to the Minorities. دورية دعم، ١.

مطلق، ر. (٢٠١٤). التنوع الإثني في العراق: سوسيولوجيا التعدد في الوحدة Ethnic Diversity in Iraq: Pluralism Sociology in Unity. مجلة الآداب، ١١٠.

معجم المعاني الجامع Comprehensive Meanings Glossary. (د.ت). https://tinyurl.com/5h8xakk9

موسى، ع. (٢٠١٥). تركة مبارك لا تزال تحكم مصر: إلى أي وجهة تأخذنا الانتخابات البرلمانية المقبلة؟ Mubarak's Legacy Still Governs Egypt: What Destination Takes Us to the Upcoming Parliamentary Elections? مجلة سياسات عربية، ٢٣.

هماش، ف. (د.ت). مظاهر التنوع الثقافي في العالم وبعض أبعاد الهوية الثقافية (مقال) The Cultural Diversity Manifestations in the World and Some Cultural Identity Dimensions (Article). موقع موضوع https://tinyurl.com/yc4nv9nu

المصادر الأجنبية:

Dean, M. (2010). What is society? Social thought and the arts of government. *The British Journal of Sociology*, *61*(4).

Doda, Z. (2005). *Introduction to Sociology*. Debub University.

International Labour Organization. (2014). *Promoting Equity-Ethnic diversity in the workplace: A step-by-step guide*. International Labour Office.

Ndayambaje, J. (2013). *Religious Pluralism: Threat or Opportunity?* Université Catholique de Louvain.

New World Encyclopedia. (n.d.). *Society*

https://www.newworldencycl-opedia.org/entry/Society

Ratcliffe, P. (2014). ***Ethnic group*****. University of Warwick.**

United Nations Educational. (2005). The 2005 Convention on the Protection and Promotion of the diversity of cultural expressions. ***Scientific and Cultural Organization (UNESCO)*** **(No. 3).**